



بين الاستشهادي والانتحاري

طبعاً، كان الأمر اسهل لو ان اسرائيل وراء عاشوراء العراق، كما اقر الامين العام لـ"حزب الله" حسن نصرالله في رد فعله الاولي. طبعاً، كان اكثر ملاءمة لليقين لو ان الاحتلال الاميركي متورط في هذه المجزرة، على غرار ما حصل ذات يوم من ثمانينات القرن العشرين مع محتل آخر في النبطية. لكن واقع الحال لا يحتمل الثنائيات التبسيطية هذه المرة، والكأس المرة هي ان بين الذين قاموا بالهجمات في بغداد وكربلاء انتحاريين، وان هؤلاء الانتحاريين الذين بات يمكن تسميتهم ارهابيين، ينتمون الى الاسلام، بل يتسلحون به للقيام بفعلتهم الدموية.

وعليه، فانه لا يكفي التحذير من تكرار الفتنة الكبرى بعد ١٣٥٥ عاماً، على شكل حروب اهلية سنية - شيعية في العراق وحيثما تتمثل الطائفتان. فهول الجريمة وشكلها يفرضان ايضاً، وتحديداً على "حزب الله" وكل من استهوته عقيدته النضالية، مقاربة جديدة لمنطق العنف السياسي، بدءاً بتغيير التسميات. ولعل هذا ما يمكن ان يجعل من ردة فعل نصرالله، اذا تجرأ على تعميقها، نقطة انطلاق في ثورة فكرية ومن ثم سياسية طال انتظارها.

ومما جاء على لسان نصرالله: "اذا تبين ان الموساد وراء الفتنة ستسكن آلام عوائل الشهداء، واذا كانت الشبكات العميلة لـ"سي. أي.اي" سيشكل ذلك مواساة لنا جميعاً، ولكن اذا كانت تقف خلف ذلك مجموعة متعصبة ظلامية متحجرة تعيش في القرون الوسطى لا عقل لها ولا قلب ولا دين ولا اخلاق، وتنتمي الى المسلمين او تدّعي الانتماء الى الاسلام، فهنا الخطر الاكبر والحزن والمأساة والفجيعة التي يجب ان تواجهها كل الامة... واذا ثبت ان الذين فجّروا في الكاظمية انتحاريون فهذه علامة فارقة".

لندع جانباً المنطق التبسطي الذي يجد في يد العدو عزاء، فما يلفت في كلام نصرالله امران جديان في لغته:

استخدامه مفهوم "الظلامية" واعتباره الانتحاريين علامة فارقة. اما الظلامية والتحجر والعيش في القرون الوسطى، فيفترض بمن يدين هذه الظاهرة ان يكون مستعداً لتحمل اعباء الادانة، وان كلفه الامر اعادة نظر جذرية في مسيرة حزبه وايدولوجيته.

فأن تجد من هو ظلامي اكثر منك، لا يعني حكماً انك صرت علماً من اعلام فكر التنوير. والحق ان المرجعية التي يعود اليها نصرالله وحزبه لا تشكي شيئاً من ناحية الظلامية والتحجر والحنين الى القرون الوسطى. قد يكون الخميني اكثر براغماتية من بن لادن، لكنه بالتأكيد ليس اقل ظلامية وتحجراً من الوهابية التي تعتمدها "القاعدة" والتيارات المتماهية معها. بل انه يجوز القول انه رغم كل الخلافات الفقهية والطائفية، فان ما بين الخمينية والوهابية من نقاط التقاء فكرية، قد يفوق نقاط التمايز.

فضلاً عن ان اللعب على الوتر الطائفي في العراق والذي ينسب اليوم الى غلاة السنة، ليس وقفاً عليهم. فالخميني لم يتوان عن استغلال تراث الفتنة الكبرى ورمزية الشعبوية بعد انتصار الثورة في ايران وسعياً لتصديرها الى العراق، وهو ما عجل في اندلاع الحرب بين البلدين. في ازاء هذا



المخزون الخميني، يكتسب موقف نصر الله اهمية كبيرة، ولكن فقط اذا افضى التنديد بالظلامية الى التخلي عن كل الظلاميات، سواء تلك التي تستظل الوهابية او التي ترفع راية ولاية الفقيه. المنطق نفسه يفترض ان يسري على اشكالية الاستشهاديين/الانتحاريين. ذلك بان "حزب الله" معني قبل غيره بمراجعة ذاتية حول هذه النقطة. صحيح انه تخلى عملياً منذ اعوام، وفي ظل قيادة نصر الله له، عن اسلوب العمليات الانتحارية، لكنه يبقى في لغته السياسية ورمزيته العقائدية وحتى في جمالياته مرتبطاً ببيئة ايديولوجية - سياسية كانت اول من لجأ الى الانتحاريين في التاريخ العربي الحديث، وإن يكن "عذره" أنذاك التصدي للولايات المتحدة وفرنسا او مقاومة اسرائيل. ثم ان "حزب الله" لا يزال مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بفصيلين جعلوا من الانتحاريين عنوان نشاطهما، هما "حماس" و"الجهاد الاسلامي"، وهو يروج لهما يومياً عبر تلفزيون "المنار" الخاص به. فهل يعني ذلك ان تمييز الانتحاري عن الاستشهادي يعود الى انتماء الضحية فحسب؟ استشهادي عندما يقتل اسرائيليين واميركيين، او في لغة بن لادن "يهوداً ونصارى"، وانتحاري عندما يقتل مسلمين؟ بيد ان الامر ابعد من هذا التمييز بين الانتحاريين والاستشهاديين. انها ثقافة العنف التي صارت تغلب شكل النضال على فحواه، والتي كان لـ"حزب الله" ولا يزال اكبر اثر في الترويج لها. فعندما كان نصر الله يشيخ في مجالسه، قبل اسابيع، ان حزبه ادخل الى العراق ما يكفي من الشاحنات المفخخة، موحياً انها جاهزة للاستخدام ضد الاميركيين اذا لزم الامر (واقترضت السياسة الإيرانية والسورية ذلك)، فانه كان يحضّر من حيث لا يدري ولا يريد للجريمة الكبرى التي ارتكبت في عاشوراء.

سمير قصير



Id-Reference	04-Pr-000629	
Media	(Support)	HC
Title		بين الاستشهادي والانتحاري
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٤/٣/٥ 5/3/2004
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	حسن نصر الله - خميني - اسامة بن لادن
	Locations	عراق - لبنان - اسرائيل - ولايات متحدة - بغداد - كربلاء - كاظمية
	Dates	
	Themes	عراق - ارهاب - عاشوراء - حسن نصر الله - اسلام - ولاية فقيه - حزب الله - احتلال - حرب أهلية سنية شيعية - اميركي - القاعدة - ثورة ايران - موساد - سي.آي.أي - استشهاديين - انتحاريين - خمينية - وهابية - حماس - جهاد اسلامي - عمليات انتحارية - بن لادن
Subject		